

يوجد في النصف السفلي من الصورة حوت بيلوغا الأبيض مغمور في المياه وجانبه الأيمن موجه نحوًا. يظهر جسده الشاحب أسفل سطح المياه ، بينما يظهر فمه المفتوح وجبهته البارزة وأنفه الطويل فوق سطح المياه في مركز الإطار. يتلامس خطم الحوت مع رأس صياد سمك ملتج يرتدي قبعة من الصوف وسترة ينحني من جانب المركب ليضغط جبهته بلطف على أنف حوت البيلوغا. في المياه، يوجه الحوت عيناه الداكنتان إلى أعلى وينظر إلى عيني الصياد. يبتسم الرجل إلى البيلوغا ويظهر أسنانه قليلاً بينما يبتسم إليه الحوت أيضاً. تظهر في الخلفية وراءهما المياه بلون أزرق داكن وتفسح المجال للتلال الخضراء تحت السماء النرويجية الملبدة بالغيوم. التقطت هذه الصورة بكاميرا Canon D Mark IV 5 من 10 سبتمبر 2020 في الساعة 15:36. إنها تجسد حكاية هفالديمير الرائعة وهو حوت البيلوغا المشهور عالمياً والرابط غير العادي الذي أنشأه مع صائد الحيتان السابق هذا. بدأ الأمر في أبريل 2019، عندما كان يُوار هيسنتين، الرجل الذي يظهر في الصورة، يصطاد بالقرب من هامرست في شمال النرويج مع والده وأخيه. كان بإمكانهم رؤية ظلٍ شبحي كبير يتحرك بين القوارب. اعتاد صائدو الأسماك رؤية الحيتان في المياه لكنهم لم يروا حوت بيلوغا هنا من قبل. وإذا أردت عادة رؤيتهم في المياه النرويجية، فيجب أن تسافر أكثر من 800 كيلومتر إلى سفالبارد. بينما كان يُوار والآخرين يشاهدون الحوت ينجرّف بين القوارب، لاحظوا شيئاً ملفوفاً حول جسده الأبيض العضلي. افترضوا أنها شبكة صيد، قبل أن يصرخ والد يُوار قائلاً: "إنه طوق!" على الرغم من كونه صائد حيتان، شعر يُوار بأنه يجب عليه مساعدته. إذا لم يفك أحد الطوق، فقد ينغرس بعمق في جلده الناعم ليسبب معاناة لا توصف أو الموت. أخبر يُوار والده قائلاً: "سأنزل في المياه." استخدم يُوار مهاراته في صيد الحيتان وكان عازماً على إنقاذ هذا الحوت. ارتدى بدلة إنقاذ بمساعدة السلطات الساحلية وقفز في مياه البحر النرويجي الباردة. وبعد عدة محاولات، أزال يُوار ورجلان من السلطات الساحلية الطوق. كان مكتوباً عليه: "معدات سانت بطرسبرغ." أطلق على الحوت لاحقاً اسم هفالديمير. في الشهور التالية، تحول هفالديمير الساحل النرويجي الشمالي وزار الموانئ وتفقّد الناس. كان يلتقط الهواتف التي يسقطونها في المياه ويلعب بها.

أصبح ظاهرة عالمية.

وأصبح العالم فجأة يتحدث عن هفالديمير على وسائل التواصل الاجتماعي وفي الأخبار وفي كل مكان.

وتوالت النظريات مع هذا الاهتمام.

اعتقد البعض أنه جاء من حوض أسماك.

ولكن أصر الكثيرون على أن الطوق الغريب والاهتمام الذي أظهره بالقوارب والموانئ والناس يشير إلى شيء أكثر شراً: أن هفالديمير كان جاسوساً.

مهما كانت أصوله، بدا أن هفالديمير يستمتع بالاهتمام الذي يتلقاه.

لكن يُوار على الصعيد الآخر لم يستمتع بذلك.

وبعد انتهاء فصل الصيد، سافر 1000 كيلومتر نحو الجنوب ليعود إلى موطنه لودينجن.

اعتقد الكثيرون أن هذه ستكون القصة المثالية بالنسبة إليّ بصفتي مصوراً صحفياً ومصوراً لما تحت المياه.

لكنني لا أعطى القصص التي يغطيها الآخرون؛ ولن أطارد أبداً حيواناً عبر المحيط.

في صيف عام 2020، كنت في موطني لوفونتن التي تقع في جنوب بلدة يُوار.

زارني العالم الفرنسي والسباح الحر فابريس شنولر.

وأخبرني أن هفالديمير سافر آلاف الكيلومترات نحو الجنوب وانتهى به المطاف إلى المضيق البحري الذي يعيش فيه يُوار الآن.

يبدو الأمر كما لو أنّ حوت البيلوغا الأبيض الغريب هذا قد تتبّع منقده لمسافة 1000 كيلومتر نحو الساحل.

لقد اجتمع شملهما وبدأ يُوار في مساعدة هفالديمير.

كانت هذه القصة التي أردت التقاطها.

أخبرت المحررين والكاتب نيلز أنكر عن القصة وذهبت لمقابلة يُوار وفابريس في بالانجن.

لم تكن حياة هفالديمير جميلة.

كان يسبح بين مزارع الأسماك ويأكل أسماك الفُد الأسود التي تتغذى على البقايا المتساقطة من أقفاص السلمون.

وبينما كانت المزارع البحرية تقدّم له الطعام والتواصل مع البشر الذي كان يتوق إليهما، فقد عانى من جروح عميقة وإصابات من مراوح القوارب.

يزوره يُوار الآن في المزارع قدر المستطاع، وأردت أن أوثق علاقتهم المميزة.

عرفت أنّ الأمر لن يكون سهلاً.

لم يتصرف هفالديمير مثل الحيتان ولم يكن في بيئة تناسب حياة الحيتان.

في البداية، عندما فقّرت في المياه كان هفالديمير يسبح نحو وجهي.

كان جلدُه ناعماً وبارداً وطرياً.

لكنَّهُ يُخفي قوته أسفل جلدِه الطريِّ.

كانَ مندفعاً وعدوانياً على الأُغلبِ وظلَّ يفتُحُ فمَهُ الكبيرَ مراراً على كاميرتي ورأسي.

كان لسائهُ مثلَ ورقِ السنفرةِ.

وكانَ أمرُ مساعدتِه مستحيلاً.

وتعَيَّنَ علينا العودَةُ إلى القاربِ عدةَ مراتٍ بينما كان يصرخُ في المياهِ مثلَ شابٍ مراهقٍ.

شاهدتُ روتينَهُ اليوميَّ والتقطتُ الصورَ له تدريجياً.

التقطتُ صوراً له أسفلَ المياهِ من على بُعدِ مسافةٍ منه.

رأيتُ هذا الحيوانَ اللطيفَ يرقصُ أسفلَ سطحِ المياهِ – ورأيتُهُ وهو نائمٌ وعندما يستيقظُ وعندما يطارِدُ القواربِ.

كما التقطتُ صوراً فوقَ سطحِ المياهِ لتفاعلِ يوارٍ مع الحوتِ.

لكنني لم ألتقطُ صوراً تجمعُ بينَ عالميهما.

كنا نعودُ إلى القاربِ في كلِّ مرةٍ يزدادُ فيها حماسُ هفالديميرِ.

وفي هذه المرة، رأيتُ يوارٍ يُنزلُ يديه إلى المياهِ.

كان يستطيعُ هفالديمير تمييزَ يدِ يوارٍ.

أمالَ الحوتِ رأسهُ الكبيرَ تعبيراً عن قبولِه لهما، ودفعَ جلدَهُ الناعمَ والباردَ مقابلَ هاتين اليدين العاريتين والقويتين.

حبستُ أنفاسي حين رأيتُ بوضوحٍ كيف أحبَّ هفالديمير اهتمامَ يوارٍ.

لقد أحببتُ للغاية مشهدَ تحريكِ صائدِ الأسماكِ جسدهُ بالقربِ من سطحِ البحرِ.

وفعلَ هفالديمير الشيءَ نفسه.

دفعَ برأسِه يدا يوارٍ خارجَ المياهِ وأخرجَ خطمَهُ الكبيرَ من المياهِ.

علمَ يوارٍ أن هفالديمير يريدُ المزيدَ فانحنى فوقَ حاجزِ القاربِ ومدَّ رأسَهُ إلى أسفلَ مقابلَ الحوتِ.

تلامستُ قبعهُ صائدِ الأسماكِ المنسوجةً من الصوفِ ورأسهُ معَ خطمِ الحوتِ.

فَنَحَّ الاثنانِ فمَهُما وابتسما بينما يضغطان رأسَهُما مقابلَ بعضيهما.

ينظرُ هفالديمير إلى أعلى من أسفلِ سطحِ المياهِ في حبِّ.

وكنتُ أفكرُ قائلاً: "أرجو أن تكونَ الصورةُ واضحةً!" لأنني كنتُ في عالمين في الوقتِ نفسه، كان نصفُ العدسةِ أسفلَ سطحِ

المياهِ والنصفُ الآخرُ فوقها.

كانت واضحةً.

وعلی الرغم من أنّ تركيب الصورة لم یكن مثالیًا، فإنّ المشاعر التي تم التقاطها كانت لا تُنسى.
لن أنسى هذه اللحظة أبدًا لأنها تُظهر كائنين من عالمین مختلفین يلتقيان في المنتصف بحبّ.